مقدمة الكتاب

بسم الله، والحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسول الله.

وبعد.

فما أكثر وقائع الحياة التي تُذكر وتُنسى دون أن يعرف الناسُ عواقبَها أو يقفوا على عِبرتها ودَلالتها.

وقد حفظ اللهُ لنا - بفضله ورحمته - القرآنَ الكريمَ لنعرفَ به قَدَرَ كُلِّ شئ، كمَا حفظ لنا السُّنَّةَ المباركةَ؛ ليبقى فينا رسولُهُ ﷺ أُسوةً وقُدوةً لا يَخْفَى من أمره عنَّا شيءٌ.

وعليه فإن الوقائع والأحداث التي يُنْزِلُ الله فيها قرآناً، أو يكون للرسول ﷺ فيها بيان، لا تذهبُ بذَهاب زمنها، ولا يتوقف عطاؤها بوفاة أهلها.

ولما كانت أحداثُ دار الإيمان «المدينة المنورة» لا تنفصل - أبداً - عن الكتاب والسُّنة، فإنَّ ما يُتنَزَّلُ من آيات في هذه الأحداث تراه أوسع دائرة، وأشمل - في تبصرة الإنسان وتذكرته - من الوقوف عند حَدَث عارض في أيِّ زمان أو مكان إنها ليست وقائع ماضية، وإنمَّا غَدَتْ - بالذِّكْر المحفوظ - سُنناً باقية.

إنها وقائع يُرى في صميمها الرُّوح الأمينُ جبريل عليه السلام يتنزَّل بوحي ربِّه وأمره، ليقتَرن تدَّبر الآيات بوقوع ما يصدقُها من وقائع وأحداث.

وقد أراد الله للمدينة المُنَوَّرَة أن تكون قُبّة الإسلامِ، ودار الإيمانِ، وأرض الهِجرَةِ، ومُبَوَّأ الحَلالِ والحَرامِ(١).

(١) انظر: مجمع الزوائد: ٣ / ٢٩٨ .

إنها البلد التي هاجر إليها كِرَامُ النَّاس من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القَرْحُ.

إنها البلد التي انبثق منها النُّور، وانطلقت منها مَوْجةُ الهداية، وتمثلت فيها فصول التاريخ الإسلامى الأوَّل، وابتل ترابُها بدموع الصحابة - رضي الله عنهم - ودمائهم.

ومنها، وعلى أرضها الطيبة كانت وقائعُ الجهاد التي تُتلَى وتُعْرَف دلالتُها من حديث القرآن، وتُرى في واقعٍ من عمل الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

من أجل ذلك أحبَبتُ أن نتدبَّرَ وقائعَ المَدينَة المُنَوَّرَة وفضائلَهَا في حديث القرآن الكريم وبيان السُّنَّة المُطَهَّرَة؛ حتَّى يُرى القرآن الكريم، وتُرَى السُّنَّة المُطَهَّرَة في واقعٍ لا تغيب فيه عن النَّاسِ النتائجُ والعواقبُ.

وذلك يستوجب أن نرى الأمورَ بنتائجها، ونُبْصرَ الشدائدَ في عواقبها، فإننا - كثيراً - ما نرى أنَّ العقبات أنفعُ للإنسان من الوَثَبَات؛ لأنها تُعين على مراجعة النفس، وتدعوها إلى الثبات على الحق، وتحثّها على التغيير الذي لابُدَّ منه لإدراك حكمة الخَلْق وغاية الوجود.

ولهذا كانت الوقائع والأحداث خيراً له، من حيث تبصرتُه ومراجعتُه لنفسه ويقينه، وهو يَرى أنَّ كُلَّ مَنْ وُلدَ سَيَمُوتُ، وأنَّ الذي لمْ يَلدْ ولَمْ يُولَدْ هو الحيُّ الذي لا يموت، فلا تَوَكُل إلاَّ عليه، ولا فرارَ منهُ إلاَّ إليه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾(١).

من هُنَا لا نَرَى دوامَ لَيْلٍ دون نهار، ولا نَرَى دوامَ نهارٍ بلا لَيْل، بل نَرَى الليلَ والنهارَ قد جعلهما الله تذكرة للخلق وتبصرة.

---

(١) الفرقان: ٥٨.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾(١).

فمَنْ أراد أن يَذْكُرَ أو يَشْكُرَ فتلك آيات التبصرة قائمة له وعاملة فيه.

كُلُّ ذلك وغيرُه يدعونا أنْ نحفظ المدينة المنورة بحفْظ القرآن، وأن نتحدثَ عنها بما صَحَّ عن الرسول ﷺ من بيان.

فلا تكون دراستُنا لوقائعها وأحداثها كدراستنا لأيِّ وقائع في أيِّ مكان أو زمان، بل تكون دراسة رُشْدٍ وعملٍ، وحُسن تدبُّر لَمَا أُرسل به الرسول الأمين وجاء به القرآن الكريم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(٢).

وإلاَّ.. فكيف تكون الأسوة به ﷺ دون أن نعرف ما أُرسِلَ به، وما دَعَا إليه، وما وقع له، وما انتصر به؟!

وذلك ما قَصَدْتُه حين عَزَمْتُ أنْ أكتُبَ عن [المدينة المُنَوَّرَة.. وقائعها وفضائلها في حديث القرآن الكريم وبيان السُّنَّة المُطَهَّرَة].

وسَنَرى من الوقائع ما يُبَرْهن على أنَّ المدينة المُنَوَّرَة لها أن تُخاطِبَ الناسَ جميعاً بوقائعها وأحداثها؛ لتُعرَف - من خلالها - سُنَنُ الله في خَلْقه، وهي سُنَنٌ ثابتةٌ لا تتبدل ولا تتحول.

وليُعلم أنَّ آيات القرآن الكريم ليست بمَعْزَل عن واقع، وأنَّ تدبّرها مُيَسَّرٌ لِمَنْ آثرَ الحقّ وابتغاه، وأنَابَ - مُخْلصاً - إلى الله واتَّقاه..

(١) الفرقان: ٦٢.
(٢) الأحزاب: ٢١.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[١].

ومن خلال وقائع المدينة وأحداثها نعلم كيف أدرك الصَّفْوة من الخَلْق حكمةَ خَلْقهم وغايةَ وُجودهم، ونُدرك ما قامت به المدينة المُنَوَّرَة - في شتَّى الجبهات - من أعمال، وكيف أُعدَّ الرجال الذين أوْفَدَتهم ليكونوا طلائع حضارة صادقة للإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

ويُخطئ مَن يظُنُّ أنَّ حضارةً مَا - في أيِّ زمن ما - يُمكن أنْ تستغني عن الإرشاد بما جرى مع هؤلاء، وما تمَّ على أيديهم، وما كانوا عليه من صِدْق الإيمان واليقين، حتى استطاعوا أن يفتحوا - للقِيَم والأخلاق - فَتْحاً كانوا فيه مَثَلاً صادقاً للناس، وهم يَرَوْنَ سُنَنَ الله فيما جرى لهم أو وقع بهم، دون مُحاباة لهم إنْ كانوا مُصيبين أو مخطئين.

فإنَّ سُنَّة المداولة بين الناس لنْ تُبقيَ أحداً على دوام حال، بل هي المِنَّةُ من الله التي لا تجعل الناس يُفتنون أو يهلكون دون تَبْصرَة لهم بأنَّ ما في أيديهم لا يدوم، وأنهم - بما يملكون أو يُحرزون - ذاهبون.

ولن تكون الأحداث المتجددةُ بِمَنْأًى عن الوقائع التي أنزل الله فيها قرآنًا، فلو أنَّ سائلاً سأل:

هل مَرَّت بالمسلمين وقائعُ وأحداثٌ أُحْكِمَ فيها الحصارُ، وتداعت الأممُ في ماض كما هو واقع في حاضر؛ حتَّى نُفيد مما وقع في ماض لحاضر أو مستقبل، في رُشد ويُسر، دون تكلُّف أو حرج؟

أقول: نستطيع أن ندرك ذلك إذا ما تدبَّرنا حديثَ القرآن فيما أُنزلَ من وقائع وأحداث، وأَحْسَنَّا الاتباع في الأخذ بالأسباب دون تَوَانٍ أو تقاعد.

---

(١) القمر: ١٧.

وهذه عظة باقية نراها في تجمع الأحزاب على مدينة رسول الله ﷺ ماثلة، جيشٌ من عشرة آلاف مقاتل حُوصرَتْ به مدينةُ الإيمان، يسُوقهم من يُسَوِّلُ لهم ويُغريهم بما تهواه نفوسُهم، ولم تكن قد عُرفت - من بعد - أسلحةُ النَّدَالة التي يملكها مَنْ يملكها، ويَتيه بإحرازها مَن يَتيه.

وأسلحة الندالة هي التي تراها تقترف من الجرائم، وتُحقق من الخراب والدمار ما لا يُعْفَى منه رضيعٌ أو شيخٌ كبيرٌ، وما لا يَبْقَى معه حَجَرٌ ولا شجرٌ يكون به إيواء أو إطعام.

لقد جاءت قريش ومَن حالفها، فلم تُرَد بأسلحة يملكها أهلُ «طيبة» ولم تستعنْ بمن يملك في دنياها السِّلاح، وإنما استعانت بمَن لا يُستَعانُ إلا به..

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

فإذا بريح تؤمَر فتردَّ أهل الكفر بأمر ربِّها.. ترُدُّهم بغيظهم خائبين..

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[2].

من هنا تكون الإفادة من القرآن والسنة في وقائع وأحداث، ولا تكون بعيدة عن حُسْن تدبُّر وصِدْق اتباع، فإنَّ جميع ما يقع في هذا الكون - أرضه وسمائه - ليس بمَعْزل عن مشيئة وإرادة يجب أن يُذكَر بها الله ولا يُنْسَى.

وما يقع في دُنيَا الناس من أحداث، وما يكون بينهم من تداول، يجب أن يعرف المؤمنون به أين موقِعُهم من مرضاة الله، وأين هم من الأخذ بأسباب نُصْرته ورضاه؟!

(١) الفاتحة: ٥ .

(٢) الأحزاب: ٢٥ - ٢٧.

وأن لا تَشْغَلهم الأحداثُ عن مُناصرة الحق ونُصرته من أنفسهم، قبل أن يطلبوا ذلك من أعدائهم.

وأن يُوقنوا أنهم لا يستطيعون أن ينصروا الله في معركة حتَّى ينصروه في أنفسهم، وهم إذا لم ينتصروا بفضلهم لن يَغلبوا أحداً بقوَّتهم.

يجب أن يُذكَر ذلك ولا يُنْسَى.

كما يجب ألا يكون علاج ما يقع مُنفصلاً عمَّا يحمله القرآن الكريم من هداية وتبصرة، أو تدعو إليه السُّنَّة المُطَهَّرَة من صِدْق ورُشْد وإخلاص في رؤية النتائج والعواقب.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[١].

عندئذ تكون دراسة الوقائع مُقْتَرِنَةً بعِبْرَتها وتبصرتها، غير مُنفصلة عن آياتها، فهي - في حقيقتها - ليست أحداثًا وقعت وانتهت، وإنما هي أحداثٌ ماضيةٌ تُرينَا سُنَنَ الله الباقية.

وكفى بذلك بلاغًا وذكرى ونذيرًا للعالمين..

﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

لقد عايشتُ المدينةَ الطاهرة، وتأملتُ وقائعها، ووقفتُ على فضائلها، فتكشفت بين يدي حقائق ينبغي أن يسُودَ العلمُ بها ولا يغيب، ولعل من أجَلِّ هذه الحقائق وأكثرنا حاجة إلى تدبرها:

---

(١) الإسراء: ٩ .

(٢) إبراهيم: ٥٢.

أنَّ الإسلامَ ليس ضيعةً نملكها ولا يشاركنا فيها غيرُنا.

- إنه رحمةُ الله للعالمين يهتدي به من يشاء دون حَرَج أو تَكَلُّف أو عُسر

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

- إنَّه الحقُّ الذي أرسل الله به الرُّسُلَ جميعاً، فمَنْ أعرضَ عنه أو صَدَّ عن سبيله، لقي ما يلْقَاه المعرضون عن الحق أو الذين يصدون عنه

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾(٢).

- إنَّه العدل الذي لا يُقبل في ساحته أن يُعفَى ظالمٌ من حسابٍ لقُربه، أو يُترك مظلومٌ دون إنصافٍ لبُعْده.

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾(٣).

- وأنَّ من أَبْيَن الفَضْل فيه - وكُلُّه بَيِّن - أنَّه لا يُجامل مَن اتَّبعه، ولا يُنقصُ قَدْر منْ عَادَاه، بل يدعو الخَلْقَ جميعاً إلى رحابه، ويُبَيِّنُ لهم أنَّ مكانتهم عنده تُوزَنُ بمكارم الأخلاق، وأنَّ ساحَتَه تتَّسع لهم جميعاً إنْ هُم التَقَوْا - فيما بينهم - على كلمة سَواء، وأنَّ ذلك قائمٌ فيهم جميعاً دون تمايز أو استثناء.

وسيظل نداؤُه دائماً بهذه الحقيقة: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾(٤).

وعلى العاقل أن يُفَرِّقَ بين تفريط جيل وذَهَاب دين.

إن دينَ الحَقِّ - الذي تكفَّل الله بحفظه - لا يضيع بضياع مَنْ فَرَّطَ أو ضَيَّع، وإنما هو بَاقٍ بعزَّة مَن أَعزَّه، فلا يقترب من ساحته باطلٌ، ولا يُوقفُ مَدَّه حاسدٌ أو حاقدٌ، ولا يُطفِئ نورَه مَفْتُونٌ بقوَّته أو مَزْهُوٌّ بزينته.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧ .
(٢) طه: ١٠٠ .
(٣) النساء: ١٢٣ .
(٤) آل عمران: ٦٤.

هذا وَضْعُهُ وتلك حقيقته ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

وعلى العالَم أن يُحاكم المسلمين بدينهم لا بشيء سُواه، فلنْ يجد العالَمُ كُلُّه ما يريده منهم - من عدل، وبرٍّ، وإحسان، وصِدْق، ووفاء - إلاَّ بميزان دينهم.

وعلى المسلمين - أيضاً - أنْ يُدركوا أنَّ عقابَهم عند ربِّهم سيكونُ مُضاعفاً عندما يراهم العالَمُ على غير ما يدعو إليه دينُهم.

سيكون العقابُ بين يدي الله عقابَيْن:

عقابٌ لهم: لأنَّهم لم يحملوا الدِّين كما ينبغي أن يكون، بل حُمِلوا عليه

وعقابٌ لهم: لأنهم - بتفريطهم - أَغْرُوا النَّاس بالفتنة عنه.

هذه الحقيقة أقولُها إنصافاً لهذا الدِّين الذي ظُلِمَ من أهله قبل أن يُظلم من غيرهم، وهو مِنْ ظُلْم هؤلاء وظُلْم أهله بريءٌ.

وبذلك نكون على بصيرة حين ندعُو أنفسَنا إلى التمسك بالحق، أو نُبَصِّر غيرَنا بما يجب أنْ نُبَصِّرهم به بحُجة وسُلطان؛ رجاء أن نهتدي جميعا إلى دار السلام.

وذاك هو السبيل لطلب الهداية والنجاة، قد أَجْمَله الله لنَا ليكون أمام أعيننا، ولنكون على بَصيرة من أمرنا في جميع شؤوننا؛ حتَّى لا نَضلَّ في أيِّ أَمْرٍ، أو نَشْقَى في عاقبة ومصير.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

(١) فصلت: ٤١، ٤٢ .

(٢) المائدة: ١٥، ١٦ .

إننا عندما نُخاطِبُ الناسَ بوقائع المدينة المنورة ينبغي ألا تغيبُ عنَّا أمور:

- **أولاً** : أنَّ ما نذكره من وقائع المدينة لا نُريد به الحَصْرَ، وإنما الذي يعنينا أن نعرف ما تشتمل عليه بعض هذه الوقائع من بيان لسُنَن الله في خلقه.

- **ثانياً**: أنَّ بَيَانَ وقائع المدينة يدُلُّ على حقيقة فضائلها، وأنهَّا فضائل مُسطَّرَة في آيات محفوظة تُتلَى، وليست وقائع تاريخية قد ذهبت بمُضيِّ زمنها، وانْقَضَتْ بانقضاء أحداثها.

وما أَجَلَّ وأعظم الفضائل التي تهتدي بها النفوسُ، وتجدُ فيها عِظَتَها دون تَكلُّف أو عُسْر.

وما أعظم الوقائع التي تكون تفسيرًا للتنزيل أو سبباً له.

- **ثالثاً**: أنَّ الحديثَ عن المدينة المُنَوَّرَة يرتبط - كلَّ الارتباط - بمَكَّة المُكَرَّمة ولا يَنْفَصِلُ عنْها؛ ذلك لأن الأحداثَ في مَكَّة المُكَرَّمة - التي شَرُفَتْ بمولد الرسول ﷺ وبعثته - كانت بوْتَقةً لإعداد نفوسٍ أُخرجَتْ بهم خيرُ أُمَّة، وقامتْ بهم أزْكَى دولةٍ، وكان لهم قَدْرُهم وشأنهُم مع رسول الله ﷺ في دار الهجرة والإيمان.

كما أن الذين آمنوا بالله والرسول، واستجابوا لمتطلبات الإيمان، وأخضعوا كلَّ شيءٍ من أَمْرهم لمرضَاة ربِّهم، هم الذين أُمروا بالهجرة بعد أنْ أُعِدَّت نفوسُهم إعدادَ مَنْ يحمل دعوةَ الحق للعالمين.

وقد وصَفَهُم الله بما هم أَهْلٌ له، وقدَّمَهُم - في ذِكْرهم - على مَن آمن بإيمانهم من الأَنْصَار، في آيتين كريمتين من آيات القرآن فقال:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ومَنْ تدبَّر الوقائعَ من قبل هجرة الرسول ﷺ ومن بعد هجرته، بل مَنْ صَاحَبَ الرسولَ ﷺ بقلبه - مُنذ نشأته وبَعثته - عرف مدى الارتباط الوثيق بين موطن الحرمين الشريفين في مَكَّة المُكَرَّمة والمدينة المُنَوَّرَة.

إنه امتدادُ نورٍ، وإظهار دين ببعثة الرسول ﷺ.

فلم يكن تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المُنَوَّرَة وليدَ لحظة طارئة، بل كان امتدادَ نور لبعثة الرسول ﷺ الذي حُفظَت برسالته رسالةُ السماء إلى جميع الأنبياء..

إنَّ الصِّلَة - إذن - بين المدينة المنورة وبين مَكَّة المُكَرَّمة هي صلةُ نُور يُعزُّ به الإنسانُ حيثُ كان، ولا يمكن التفرقة أو المقارَنة بينهما، أو النَّظَر إليهما بعيدًا عن وحي في سُنَّة وقُرآن.

*****

وكما شرَّف الله المملكة العربية السعودية بخدمة الحرمين الشريفين، فقد خصَّها بدور رائد في خدمة القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة المطهرة.

فأمام ازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، وترجمة معانيه إلى مختلف اللغات التي يتحدث بها المسلمون، والعناية بمختلف علومه، وكذلك خدمة السنة والسيرة النبوية المطهرة.

واضطلاعاً من المملكة بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين، واستشعاراً من خادم الحرمين الشريفين «الملك فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله - بأهمية

(١) الحشر: ٨، ٩.

خدمة القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة المطهرة من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لذلك العمل الجليل، وضع - رحمه الله - حجرَ الأساس لمُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، في السادس عشر من المحرم سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

وقال - رحمه الله - عند إزاحة الستار عن اللوحة التذكارية لوضع حجر الأساس لمشروع المُجَمَّع:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وعلى بركة الله العليِّ القدير.. إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله - العلي القدير - العونَ والتوفيقَ في كلِّ أمورنا الدينية والدنيوية، وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أُنشئ من أجله، وهو القرآن الكريم؛ لينتفع به المسلمون، وليتدبروا معانيه»

وفي السادس من صفر سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م افتتحه - رحمه الله - قائلاً:

«لقد كنت قبل سنتين في هذا المكان لوضع حجر الأساس لهذا المشروع العظيم، وفي هذه المدينة - التي كانت أعظم مدينة فرح أهلها بقدوم رسول الله ﷺ وكانوا خيرَ عون له في شدائد الأمور، وانطلقت منها الدعوة، دعوة الخير والبركة للعالم أجمع - وفي هذا اليوم أجد ما كان حُلماً يتحقق على أفضل مستوىً، ولذلك يجب على كل مواطن في المملكة العربية السعودية أن يشكر الله على هذه النعمة الكبرى، وأرجو أن يوفقني الله أن أقوم بخدمة ديني ثم وطني، وجميع المسلمين، وأرجو من الله التوفيق».

هذا، ويعد إنشاء مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، من أجَلِّ صُور العناية بالقرآن الكريم: حفظاً، وطباعة، وتوزيعاً على المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة. ومن أبرز الصُور المشرقة والمشرِّفة الدالة

على تمسك المملكة العربية السعودية بكتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ اعتقاداً ومنهاجاً، وقولاً وتطبيقاً.

وهو - كذلك - خير تجسيد لقول الرسول الكريم ﷺ: «**إِنَّ الإيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

لقد وَفَّقَ الله خادمَ الحرمين الشريفين لإقامة هذا المشروع الإسلامي الضخم، حيث اعتنى بطباعة المصحف الشريف، وتوزيعه - بمختلف الإصدارات والروايات والترجمات - على المسلمين في شتَّى أرجاء المعمورة، كما اعتنى بطباعة كتب السُّنَّة والسيرة النبوية.

وقد استعمل الله خادم الحرمين الشريفين ليقيم هذا الصرح الشامخ بالمدينة المنورة، فجمع الله للمدينة شرفَ الإيمان الذي يأرز إليها، وشرفَ العناية بالكتاب الذي يُطبَعُ فيها.

وكم للمدينة من شرف وفضل، وكم لله فيها من نعمة وهداية، وبركة وعطاء.

﴿**نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾(٢).

﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾(٣).

---

(١) البخاري - كتاب الحج، حديث رقم ١٧٤٣، مسلم - كتاب الإيمان، حديث رقم ٢١٠.
(٢) النور: ٣٥.
(٣) الشورى: ٥٢، ٥٣.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله وسلَّمَ وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

مُحَمَّد الرَّاوي

القاهرة - مدينة نصر:

الاثنين ٢٤ من رجب ١٤٢٦هـ

٢٩ أغسطس ٢٠٠٥م

(١) البقرة: ٢٨٦.

obeikandi.com